

افتتاح بارد لمهرجان فينيسيا السينمائي الـ 76

محاكاة يابانية للثرثرة الأوروبية والسحر الأسود ينتصر على العلم



كاترين دينيف في دور قريب من شخصيتها الحقيقية في فيلم «الحقيقة»

معادية للعلم والعقل، تنتصر للخرافة والجهل جرياً وراء تحقيق التأثير على جمهور السينما الذي سئم استخدام الدين في طرد الشياطين، فأصبحت هناك الآن ضرورة لتجربة السحر الأسود الذي يقتضي "دفع ثمن"، كما تقول الساحرة لامل، التي ضحّت بسعادتها من أجل تخليص تلك الطفلة (وهو سلوك غير مبرر وغير مفهوم في سياق الفيلم).



مهرجان فينيسيا السينمائي، هو أعرق مهرجانات السينما في العالم، فعمره اليوم أزيد من سبعة عقود

دور الأم يبدو كما لو كان قد كتب خصيصاً للممثلة الألمانية نينا هيس التي تبعد وتبرع في تلوين مشاعرها وتتجه لتبدو كما لو كانت قد أصبحت هي نفسها مسكونة بفكرة التحدي..

تدعي المجهول وهزيمته مضحية بسعادتها الشخصية وحبيبها الذي حاول بكل قوة أن يكسبها ويساعدها. ويوجه عام يتميز التمثيل في الفيلم وخاصة من جانب الطفلة كاترينا لييوفسكا، التي أدت دور راية. والفضل في إدارتها والتحكم في أدائها، يرجع دون شك إلى المخرجة الألمانية الموهوبة التي لا يخلو فيلمها من مشاهد جيدة، خاصة تلك التي تدور في إسطنبول الخيول الذي تملكه الأم والمقاربات التي يقدمها الفيلم بين قدرة الإنسان على ترويض الخيول والفشل في علاج الأطفال، والتحكم في سلوكهم، كما تبدو قوة المرأة في التعامل مع الخيول وترويضها بنفسها، علامة على قوة إرادتها وتمكنها، ولكن هذا بكل أسف، لم يكن كافياً لإنقاذ الفيلم من السقوط في المبالغات الميلودرامية التي تثير التعاطف، ولكن لا تدفع إلى التفكير، بل ينتهي الفيلم إلى رفض العقل أصلاً والاحتياز للخرافة؛

عدم الاستقرار والوضوح في علاقة الأم (الغير متزوجة) بالابنة التي تبنتها رغم وجود ابنة أخرى لديها، بل بحالة شديدة الخصوصية لطفلة غريبة ربما تكون من البوسنة اسمها راية، مرت بظروف سببت لها تأثيراً مكدراً على جزء من خلايا المخ مما يؤدي إلى تعرضها لحالات من العصاب والهوس والهواجس المجنونة التي تدفعها إلى العنف والرغبة الدائمة في إيذاء الآخرين، والأهم ربما، أنها أصبحت غائبة المشاعر، لا تتأثر بالبكاء أو الضحك أو الشعور بالألم والحب... الخ. بل أصبحت مثل آلة صماء تستمع إلى أصوات غريبة مجهولة وتري أشياء لا يراها الآخرون وتسبب الكثير من المشكلات للمرأة التي تبنتها وابتنتها عنه شيئاً، بل وامتدت مشكلات راية أيضاً إلى المدرسة التي لم تستطع أن تستمر في قبول التعامل اليومي معها، ولا في الدار المخصصة لألعاب الأطفال. جميع التدايعات التي نشاهدها، تركز جميعها فكرة استحالة أن تتكيف راية وتصبح طفلة طبيعية مع تكرار محاولات الأم وإصرارها على تقديم كل ما يمكنها وتحمل كل ما ينتج من أذى حتى لا يبتئها الجميلة البريئة التي أصبحت لا تطيق راية، وتتسرع بالفزع مما يمكن أن تقوم به في الليل حينما تنتابها النوبات.

ورغم هذا التكرار والتأكيد يستمر الفيلم لأكثر من ساعتين في إعادة والتكرار بتنوعيات مختلفة تتصاعد خلالها جرعة العنف والشر من قتل الحيوانات وتقطيع الدمن وتكسير الصحون وتحطيم المائدة، إلى إشعال النيران في غرفتها وإخفاء سكن تحت الوسادة ومحاولة قتل شقيقها بالتبني. ويتحول الفيلم في ثلثه الأخير من فيلم دراما نفسية إلى أحد أفلام الرعب، وحينما يفشل الطب النفسي أو يبدو أن العلاج النفسي لن يكون مجدياً في حالة راية، تلجأ الأم إلى ساحرة تمارس السحر الأسود الذي ينتصر ويتمكن من إخراج الروح الشريرة القادمة من عالم آخر والتي سكنت جسد الفتاة البريئة.

يتخلل الفيلم عن موضوعه الأساسي، أو على الأقل الموضوع الذي أوحى به إلينا نحن المشاهدون في البداية، أي تأثير الحروب والنزاعات المسلحة على نفسيات الأطفال، ليصبح فيلماً من أفلام طرد الشياطين والأرواح الشريرة. وهي رؤية شديدة التخلف،

صاعدة تدفع بأدائها لدور الأم تياراً من المشاعر داخل فابيان. وهناك تالعب واضح ومقصود على شخصية كاترين دينيف نفسها، وإحساسها بنجوميتها بل وتبدو هي في الكثير من تعليقاتها وكأنها تستهجن وتسخر من نفسها ومن أناية النجوم بشكل ما بل وبما تفعله النجومية بالمرآة، ولكن هناك أيضاً تعرض ساخر أجده ثقيل الوطأة من مخرج مرموق مثل الفريد هيتشكوك الذي تقول الممثلة إنها كانت ستعمل معه في فيلم جديد لولا أنه توفي قبلها مباشرة، ثم تسخر من أفلامه وتتسخر معها ابتهاجاً، وتشير إلى أن أفلامه كانت مجرد أفلام تمتلئ بالقتل، وهي إشارة غير مفهومة من جانب كوريدا.

دينيف في أفضل حالاتها عندما تقوم بالتمثيل داخل الفيلم حينما يشتبك الحاضر مع الفيلم، أو الحقيقة مع الخيال لتنتصر الحقيقة في الواقع على الوهم الذي عاشت فيه طويلاً، لكنها ليست على نفس المستوى من إثارة الاهتمام عندما تميل إلى الإضحك وتتماهى في السخرية.

أما بينوش فهي تصبح أفضل حالا عندما تستدعي تأثير صديقة الأسرة الراحلة سارة التي كانت ممثلة مرموقة تركت تأثيراً لا ينكر على فابيان التي تنكر أي تأثير للراحلة، وربما أصبحت سارة في وقت ما الأم البديلة لبينوش التي تتخذ في الفيلم اسم لومير.

فيلم افتتاح المهرجان يقل دون شك عن أفلام افتتاح فينيسيا في الدورات الست الأخيرة على الأقل. ولذلك كان استقباله في العرض الصحافي الحاشد، صباح الأربعاء، استقبالا فاتحاً، ففيه دون شك بعض لمحات من سينما المخرج الياباني الشهير، لكنه يفتقد لروح أفلامه التي تؤكد أن الفيلم سيجد له جمهوراً داخل فرنسا، خاصة من الأجيال القديمة التي عاصرت مجد كاترين دينيف في الستينات، لأن الفيلم يستعيد بعض الممثلين والإشارات إلى أفلام سابقة لها من تلك الفترة.

فيلم «دم البجعة» Pelican Blood الذي افتتح تظاهرة في «أفاق» فعلاً طموحاً في استخدام الخيال والبعد عن المواضيع المكررة المعهودة في السينما الألمانية، لكنه فيلم مخرجة امرأة بامتياز، فهو يدور حول مشكلة التبني، ليس من خلال حالة تعرفها وقد ترتبط بفترة أولية من

كوريدا يبحث عن أبعاد إنسانية يشغل عليها عادة في أفلامه، وعن جرعة من المشاعر المتفجرة التي تتخلل من الصراع. أما الصراع نفسه فينشأ بعد صدور مذكرات الممثلة المرموقة فابيان أو كاترين دينيف التي تبدو مغمورة حول ذاتها مع شعورها النرجسي العميق بنفسها، وإنكارها دور الآخرين بل وأقرب الناس إليها في حياتها مع تلوينها ببعض الأكاذيب التي تجدها مبررة أيضاً في سياق أنها مذكراتها وهي حرة في أن تضع فيها ما تشاء، وأن الكتابة نوع من الفن المنفصل عن الحقيقة.

غير أن أداء دور الابنة في فيلم جديد أمام أم يفترض أنها لا تكبر أبداً، يتناوب على هذا الدور عدد من الممثلات الشابات الموهوبات، ومع استمرار التدايعات في ذهن فابيان وضغوط ابتهاجها ومواجهتها لها بالحقائق التي أغفلتها كثيراً في علاقتها بها، تبدأ لحظة المواجهة من الذات، والتخلي عن دور النجمة والعودة إلى إدراك دور الأم الذي ظلت تهرب منه وتكتره طويلاً، وخاصة بعد أن يتبدى أمامها أن الزمن أيضاً لا يسمح بالاستمرار في إنكار حقيقة صعود مواهب جديدة في التمثيل ستشوق طريقتها، رغم أنف فابيان وبنات جيها اللاتي لا تعترف بهن ولا بتأثير أي منهن عليها في إنكار واضح للحقيقة.

تكرار وتأکید هناك الكثير من التكرار والتأكيد على الفكرة مراراً وتكراراً، مع طغيان مشاهد الثرثرة الكلامية التي تدور داخل غرف مغلقة، حيث يصبح الانتقال داخل الفيلم بين المنزل الكبير لفابيان الذي يقع وراءه سجن كبير، وتصفه الحفيدة عندما تراه لأول مرة بأنه "يشبه القلعة"، وبين الاستوديو الذي يتم فيه تصوير الفيلم الجديد من نوع الخيال العلمي، الذي تقوم بطولته فابيان أمام ممثلة جديدة

من تلك الفترة.

أما فيلم «دم البجعة» Pelican Blood الذي افتتح تظاهرة في «أفاق» فعلاً طموحاً في استخدام الخيال والبعد عن المواضيع المكررة المعهودة في السينما الألمانية، لكنه فيلم مخرجة امرأة بامتياز، فهو يدور حول مشكلة التبني، ليس من خلال حالة تعرفها وقد ترتبط بفترة أولية من

كوريدا يبحث عن أبعاد إنسانية يشغل عليها عادة في أفلامه، وعن جرعة من المشاعر المتفجرة التي تتخلل من الصراع. أما الصراع نفسه فينشأ بعد صدور مذكرات الممثلة المرموقة فابيان أو كاترين دينيف التي تبدو مغمورة حول ذاتها مع شعورها النرجسي العميق بنفسها، وإنكارها دور الآخرين بل وأقرب الناس إليها في حياتها مع تلوينها ببعض الأكاذيب التي تجدها مبررة أيضاً في سياق أنها مذكراتها وهي حرة في أن تضع فيها ما تشاء، وأن الكتابة نوع من الفن المنفصل عن الحقيقة.

غير أن أداء دور الابنة في فيلم جديد أمام أم يفترض أنها لا تكبر أبداً، يتناوب على هذا الدور عدد من الممثلات الشابات الموهوبات، ومع استمرار التدايعات في ذهن فابيان وضغوط ابتهاجها ومواجهتها لها بالحقائق التي أغفلتها كثيراً في علاقتها بها، تبدأ لحظة المواجهة من الذات، والتخلي عن دور النجمة والعودة إلى إدراك دور الأم الذي ظلت تهرب منه وتكتره طويلاً، وخاصة بعد أن يتبدى أمامها أن الزمن أيضاً لا يسمح بالاستمرار في إنكار حقيقة صعود مواهب جديدة في التمثيل ستشوق طريقتها، رغم أنف فابيان وبنات جيها اللاتي لا تعترف بهن ولا بتأثير أي منهن عليها في إنكار واضح للحقيقة.

تكرار وتأکید هناك الكثير من التكرار والتأكيد على الفكرة مراراً وتكراراً، مع طغيان مشاهد الثرثرة الكلامية التي تدور داخل غرف مغلقة، حيث يصبح الانتقال داخل الفيلم بين المنزل الكبير لفابيان الذي يقع وراءه سجن كبير، وتصفه الحفيدة عندما تراه لأول مرة بأنه "يشبه القلعة"، وبين الاستوديو الذي يتم فيه تصوير الفيلم الجديد من نوع الخيال العلمي، الذي تقوم بطولته فابيان أمام ممثلة جديدة

من تلك الفترة.

أما فيلم «دم البجعة» Pelican Blood الذي افتتح تظاهرة في «أفاق» فعلاً طموحاً في استخدام الخيال والبعد عن المواضيع المكررة المعهودة في السينما الألمانية، لكنه فيلم مخرجة امرأة بامتياز، فهو يدور حول مشكلة التبني، ليس من خلال حالة تعرفها وقد ترتبط بفترة أولية من

جاء الافتتاح الرسمي، مساء الأربعاء، للدورة الـ 76 من مهرجان فينيسيا السينمائي أعرق مهرجانات السينما في العالم، بالفيلم الفرنسي "الحقيقة" وهو من إخراج المخرج الياباني هيروكازو كوريدا الذي نال "السعفة الذهبية" العام الماضي في مهرجان كان عن فيلم "سارقو المتاجر". وافتتح قسم "أوريزونتي" (أو أفاق) التالي في أهميته بعد المسابقة الرسمية، بالفيلم الألماني "دم البجعة" للمخرجة كاترين جيب.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

فينيسيا (إيطاليا) - يعتمد فيلم "الحقيقة" The Truth للمخرج الياباني هيروكازو كوريدا الذي افتتح مساء الأربعاء الدورة الـ 76 من مهرجان فينيسيا السينمائي، على سيناريو كتبه كوريدا غير أنه من الواضح بقوة دور شريكته في الكتابة اليابانية-الفرنسية لبا لو ديمنا التي عملت له من قبل كترجمة من اليابانية إلى الفرنسية، خاصة وأنها تقم في فرنسا وعلى معرفة بالثقافة الفرنسية وطبيعة السينما الفرنسية ولوع الفرنسيين بالحديث ولعبت دوراً أساسياً في نقل روح كوريدا وتعليماته إلى الطاقم التمثيلي كونها تجيد اللغتين الفرنسية والإنكليزية وهما اللغتان الأساسيتان اللتان تنتقل بينهما الشخصيات الرئيسية في الفيلم ولا يتحدثها كوريدا نفسه.

هذا "التأثير" جعل فيلم "الحقيقة" يبدو كما لو كان من تلك الأفلام الفرنسية التقليدية العتيقة التي تدور في أوساط أسرة بورجوازية وتعكس همومها ومشكلاتها النفسية مع تركيز خاص على معضلة التفاهم بين الأجيال: الجدة والأم والحفيدة.

وعلى الرغم من وجود بعض اللبس الكوميدي إلا أن الفيلم لا يرقى إلى ما كان يقدمه سينمائيون فرنسيون عرفوا بسخريتهم اللاذعة من التقاليد البورجوازية الفرنسية مثل كلود شابلون. والحقيقة أن هيروكازو كوريدا مهتم هنا أكثر بفكرة العاطلة، وبوجه خاص بفكرة الولاء: هل يكون للعائلة على حساب الفن أم للفن على حساب العائلة؟

دور الزمن كاترين دينيف تقوم بدور نجمة تمثيل في السينما الفرنسية حقت نجاحاً كبيراً ولكنها تسرع في داخلها بالخواء: لا يكتشف هذا الخواء تدريجياً سوى بعد أن تأتي ابتهاج جوليت بينوش وتبدأ الاحتكاكات بينهما مع استعادة الذكريات وما ظل قائماً بينهما من حواجز لم تستطع أي منهما تجاوزه.

بينوش تزوجت من ممثل أميركي يحاول أن يضع قدميه على الطريق لكن الواضح أنه يتعثر، يقوم بالدور أمامها إيثان هوك ويبدو دوره هامشياً، يظهر فيه ملتصقاً مهتماً باعتبار أنه كان في الماضي القريب مدمناً للخمر وحاول الإقلاع عنه، لكن يبدو أنه لم يجره نهائياً.

أما بينوش فهي كاتبة سيناريو قوية الإرادة، لديها ابنة صغيرة تبدو في الخامسة من عمرها، رغم أن الأم تجاوزت الخمسين ويبدو عليها بوضوح علامات التقدم في العمر.



الروح المسكونة في «دم البجعة»